

لام التوقيت

أ. د. مازن المبارك(*)

لم تكن طريقة اللغويين والنحويين واحدة في الجمع والتدوين والتأليف، بل كانت لكلّ منهم طريقته التي أملت عليها غايته من جمعه وتأليفه. وكذلك لم تكن للغة والنحو مصطلحات تواضعوا عليها؛ فكانت مدلولات كلمات كـ (الحرف) و(النحو) مستعملة دون أن تكون لها تعريفاتها أو حدودها المتفق عليها بينهم. فالعربية تعني عندهم كلّ ما يتصل بالنحو والصرف وغيرهما مما يتفرع منهما أو يتصل بهما؛ لأن العلم بها يراد منه أن يجعل المتعلم يتكلم على سمت الكلام العربي، كما في كتاب سيبويه مثلاً. و(الحرف) قد يكون بمعنى (الكلمة)، وقد يكون بمعنى (حرف الهجاء)، وقد يكون بمعنى حرف من حروف المعاني، لذلك اختار ابن هشام كلمة (الأدوات) ليعبر بها عن الحروف ذوات المعاني، سواءً أكانت حروفاً أم أسماء أم أفعالاً، تمييزاً لها من حروف الهجاء.

وأتجه فريق من النحويين إلى التأليف في الموضوعات النحوية؛ فكتبوا عن أقسام الكلم من اسم وفعل وحرف، وعمّا يتصل بكلّ منها، وكتب آخرون عنها من خلال مواقعها مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة... ولم يُغفل

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

هؤلاء المؤلفون الكتابة عن الحروف في كتبهم، ولكن الحديث عنها جاء في ثنايا صفحاتهم وخلال أحاديثهم عن موضوعات تتصل بها، فكان حديثهم عن الحروف الجازمة في موضعه من بحث جزم الفعل المضارع، وكذلك كان حديثهم عن الحروف الناصبة أو الجازة في موضعها من بحث المنصوبات والمجرورات.

واتجهت طائفة من العلماء إلى الكتابة عن (الحروف)؛ فكتب بعضهم عن حروف الألف باء ومعانيها، كما في الكتاب المنسوب إلى الخليل^(١)، وكتب آخرون عن أوصافها ومخارجها، وعن لهجات العرب في نطقها؛ كما في كتاب أو كتب (الهمز). وتناول بعضهم (حروف المعاني) فجمعها وعرض معانيها، وكانت كتب هؤلاء المؤلفين تختلف في أغراضها؛ فمنهم من قصر بحثه على الحروف في كتاب الله^(٢)، ومنهم من تناولها وعرض لمعانيها أينما جاءت في كتاب الله أو في كلام العرب. وأبرز من قام بذلك منهم: الهروي في كتاب (الأزھية في علم الحروف).

والمرادي في كتاب (الجنى الداني في حروف المعاني).

والمالقي في كتاب (رصف المباني في شرح حروف المعاني).

وابن هشام في كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعراب)^(٣).

(١) صدر في «سلسلة روائع التراث اللغوي» (ثلاثة كتب في الحروف للخليل بن أحمد، وابن السكيت، والرازي) تحقيق د. رمضان عبد التواب.

(٢) انظر الكتب المؤلفة في لامات القرآن ككتاب اللامات لابن فارس الذي حققه د. شاكر الفحام. (مجلة المجمع م٤٨ ج٤ ص٧٥٧)، وانظر كتاب (الفهرست لابن النديم. ص٥٤) ط مصر سنة ١٣٤٨.

(٣) انظر التفصيل في موضع كل من هذه الكتب بقائمة المصادر والمراجع.

وهو الذي جعل الباب الأول من كتابه، وهو أكبر أبواب الكتاب للبحث في (الأدوات) ومعانيها واستعمالاتها وشواهدا في كتاب الله وكلام العرب.

وكان من العلماء من قصر تأليفه على حرفٍ واحد كالهمز أو اللام أو (ما). ومنهم من ألف عن حرف واحد في كتاب الله، ككتب اللامات في القرآن خاصة، وقد ألف فيها الأخفش الأوسط، والأنباري، وابن فارس، الذي حقق كتابه د. شاكر الفحام، ونشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق^(٤).

وألف غيرهم في اللامات عامة؛ في القرآن، وفي كلام العرب وأشعارهم، ككتاب اللامات للزجاجي. ويمكن لمن أراد الاستزادة في أخبار التأليف في الحروف أن ينظر في الكتب الآتية؛ ففي كل منها حديث لا يغني عنه غيره:

- ١- الفهرست لابن النديم.
- ٢- ثلاثة كتب في الحروف. د. رمضان عبد التواب.
- ٣- الحروف للمزني. تح: د. محمود حسني محمود، ود. محمد حسن عواد.
- ٤- كتاب اللامات للزجاجي. تح: د. مازن المبارك.
- ٥- اللامات لابن فارس. تح: د. شاكر الفحام.
- ٦- مقدّمات الكتب المحققة التي تناولت الحروف كالجني الداني للمرادي ورصف المباني للمالقي^(٥).

وليس عدد اللامات واحداً عند الذين كتبوا عن الحروف، ولا عند

(٤، ٥) ينظر للتفصيل في تحقيق هذه الكتب وطباعتها وأماكن نشرها وتاريخه، قائمة المصادر والمراجع في آخر البحث.

الذين أفردوا اللام بالتأليف، فلقد أسقط بعضهم بعض معانيها، ودمج بعضهم ما رآه متقارباً من معانيها بعضه في بعض، وأعاد آخرون بعض معانيها إلى بعض. ويفسر ذلك ما أشار إليه غير واحد منهم؛ فقد قال الزجاجي في كتابه اللامات، الذي عدّ منها إحدى وثلاثين لاماً:

«هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب وكتاب الله عز وجل، ومعانيها، وتصرفها، والاحتجاج لكل موقع من مواقعها، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف»^(٦)، وبعد أن عدّ إحدى وثلاثين لاماً، مفضلاً معانيها واستعمالاتها وشواهداها، عقد باباً عنوانه «باب معرفة أصول هذه اللامات وبيان تشعبها منها» وقال فيه: «اعلم أن هذه اللامات كلّها، على اختلاف مواقعها وتبيان تصرفها، متشعبة من عشر لامات، وهي الأصول كلّها، وهي: الأصلية، ولام الإضافة، ولام التوكيد، ولام الأمر، ولام الجحود، ولام البدل، ولام الجواب، واللام المزيدة، ولام الفصل، ولام العاقبة»^(٧)، وبعد أن يفصل الزجاجي في بيان عودة اللامات كلّها إلى هذه اللامات العشر، يعود ليقول: «ولولا اختلاف مواقع هذه اللامات، وتبيان أحكامها وعللها وشروطها، لكان لقائل أن يقول: اللامات كلها متشعبة من لامين: لام أصلية، ولام زائدة. وهي لعمرى ترجع كلها إلى هاتين اللامين»^(٨).

وقد عبّر العلماء عن اللام التي تُسمّى لام التوقيت بأساليب مختلفة؛

(٦) الزجاجي، اللامات: ص ٢١.

(٧) الزجاجي، اللامات: ص ١٤٨.

(٨) الزجاجي، اللامات: ص ١٥٠.

فمنهم من ذكر أمثلة على استعمالها في كلام العرب ولم يُسمَّها، ومنهم من حملها على غيرها من الأدوات وفسرها بمعنى الأداة التي حملها عليها، وقال إنها بمعناها.

ولعل ابن قتيبة (٢٧٦هـ) كان من أوائل الذين وصلت إلينا أقوالهم عنها، إذ قال في حديثه عن التأريخ فإذا أرادوا التأريخ، قالوا للعشر وما دونها (خَلُون) و(بَقِين) فقالوا: لتسع ليالٍ بقين، ولثمانى ليالٍ خَلُون، لأنهم بينوه بجمع (يريد قولهم «ليال») وقالوا لِمَا فوق العشر (خَلْتُ) و(مضت) و(بقيت) لأنهم بينوه بواحد (أي ليلة)، فقالوا (لإحدى عشرة ليلةً خَلْتُ، ولثلاث عشرة ليلةً بقيت) ثم قال: «إنما أرخت بالليالي دون الأيام، لأن الليلة أول الشهر، فلو أرخت باليوم دون الليلة لذهبت من الشهر ليلة»^(٩).

وعاد بعد ذلك ليقول في باب آخر من كتابه^(١٠) «واللام بمعنى (بعد) كقولهم «كُتبت لثلاث خَلُون»، أي: بعد ثلاث خلون. وقال الراعي:
حتى وَرَدْنَ لَتَمَّ خَمْسٍ بَائِصٍ جُدًّا تعاوره الرياح وبسيلا
أي بعد تمام خمس»^(١١).

وقال أبو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ)^(١٢): «اللام بمعنى (عند) في قوله

(٩) ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٢٧١، باب التأريخ والعدد: والتأريخ عند العرب بالليالي دون الأيام، لأن الشهر القمري أوله ليلة وآخره نهار. يقولون: كُتبت لأول ليلة من شهر كذا، أو لمستهلّه، أو لغرته، أو لخمس خلون.. أو لثلاث عشرة ليلة خلت. ويقولون: لآخر يوم منه، أو: لانسلاخه؛ يعنون أنهم كتبوا في آخر الشهر، وأن الشهر كان ثلاثين يوماً، فدلوا بذلك على تمام الشهر.

(١٠) ابن قتيبة، أدب الكاتب: ٥١٩، باب دخول بعض الصفات مكان بعض.

(١١) البائص: البعيد. والجُدُّ: البئر.

(١٢) الزجاجي، حروف المعاني: ٨٤.

تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّعْمَنِ﴾ [طه: ١٠٨]. وقال: «اللام بمعنى (بعد) في قولهم: كتبت لثلاث خلون، أي بعد ثلاث خلون، قال الراعي: حتى وردن لتمّ خمس بائص...» (١٣)

وجاء في تفسير الكشاف للزمخشري (٥٣٨هـ) عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنْبِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]: اللام في (لأول الحشر) تتعلق بـ«أخرج»، وهي اللام في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]. وقولك: جئت لوقت كذا، والمعنى: أخرج الذين كفروا عند أول الحشر^(١٤)، وجاء في الحاشية (١): «اللام في قوله «لأول الحشر» كاللام في قوله «قدمت لحياتي»، كأنه يريد أنها اللام التي تصحب التاريخ، كقوله: كتبت لعام كذا ولشهر كذا».

وجاء عند قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]: هذه - أي لحياتي - وهي حياة الآخرة، أو وقت حياتي في الدنيا، كقولك: «جئت لعشر ليالٍ خلون من رجب»^(١٥).

وذكر المالقي (٧٠٢هـ) في كتابه: «رصف المباني في شرح حروف المعاني» أن اللام «تكون بمعنى (بعد)، وهو أيضاً موقوف على السماع لقلته. ومما جاء من ذلك قولهم: «كتبت لخمس خلون من الشهر، ولست مضين منه» أي: بعد خمس، وبعد ست، وقول الشاعر: حتى وردن لتمّ خمس بائص...

(١٣) الزجاجي، حروف المعاني: ٨٥.

(١٤) الزمخشري، الكشاف ٤/٤٨٧.

(١٥) الزمخشري، الكشاف ٤/٧٤٠.

أي: بعد تمام خمس»^(١٦).

وأما المرادي (٧٤٩هـ) فقد ذكر من معاني (اللام) الجارّة معني (عند) و(بعد) فقال في التاسع عشر من معانيها إنها تكون بمعنى (عند) كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُكُورِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]. قيل وعليه الأثر النبوي: صوموا لرؤيته، أي: بعد رؤيته، وجعل بعضهم منه: كتب لخمسٍ خلون.

وجعل الشجري منه قول الشاعر:

فلَمَّا تفرّقنا كَأني ومالكاً لَطول اجتماع لم نبت ليلة معاً^(١٧)

وذكر ابن هشام (٧٦١هـ) في المغني أن (عند) اسم لمكان الحضور، وأنها ظرف، وأنها تأتي لزمانه أيضاً نحو: الصبر عند الصدمة الأولى، وجئتك عند طلوع الشمس. وهي لا تقع إلا ظرفاً أو مجرورة بـ (من)^(١٨).

ثم ذكر ابن هشام في المعنى الحادي عشر من معاني اللام الجارّة أن تكون بمعنى (عند) كقولهم: كتبته لخمسٍ خلون، قال: وجعل منه ابن جني قراءة الجحدري: ﴿بَلْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [ق: ٥] بكسر اللام وتخفيف الميم.

وذكر في المعنى الثاني عشر من معاني اللام موافقة (بعد) نحو: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُكُورِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وفي الحديث: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته». وقال:

ولَمَّا تفرّقنا كَأني ومالكاً لَطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

(١٦) المالقي، رصف المباني: ٢٢٤ في حاشيته «أن البيت للراعي، وهو في ديوانه: ١٣ وعجزه:

جُدّاً تَعَارَضُ الشُّقَاةَ وَيِلَا.» والبيت في أدب الكاتب ص ٥١٩ ولسان العرب (تمم).

(١٧) المرادي، الجنى الداني: ١٤٧. والبيت لمتمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك.

(١٨) ابن هشام، مغني اللبيب ١/١٦٨.

وقال بعضهم إن اللام في البيت بمعنى (مع) (١٩).
ولم يكن ما في كتب اللغة عن (عند) و(بعد) بعيداً عما عند النحاة؛ فقد جاء في القاموس المحيط: «عند: ظرف في الزمان والمكان» وجاء في تاج العروس: (بعد): «وبعد ضد قبل، يعني أن كلاً منهما ظرف زمان كما عرف في العربية، ويكونان للمكان كما جوزه بعض النحاة، يُبنى مفرداً، أي عن الإضافة، لكن بشرط نيّة المضاف إليه دون لفظه.

ويُعرَب مضافاً؛ لأن الإضافة توغله في الاسمية، وتبعده عن شبه الحروف، فلا موجب معها لبنائه».

ونقل التاج عن المصباح: (بعد) ظرف مبهم لا يفهم معناه إلا بالإضافة لغيره، وهو زمان متراخ عن الزمان السابق، فإن قُرِب منه قيل بُعيد بالتصغير. وفيه: (بعد) ضد (قبل)، وهما اسمان يكونان ظرفين إذا أُضيفا. وإذا حذفت المضاف إليه لعلم المخاطب به، بنيتها على الضم، ليعلم أنهما مبنيان؛ لأن الضم لا يدخلهما إعراباً؛ لأنهما لا يصلح وقوعهما موقع الفاعل ولا موقع المبتدأ ولا الخبر.

وكذلك قال الرازي في مختار الصحاح (بعد).

وهكذا جاءت كلُّ من (عند) و(بعد) ظرفاً للمكان وللزمان، فالمكان نحو قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١]. وقوله: ﴿وَلَا تُقْبَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩١]. وقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَِا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]. ونحو قولك: بيتي بعد النهر. وبيته بعد بيتي. والزمان نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾

[النور: ٥٨]. وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧].
وقولك: «زارني عند شروق الشمس، وزرته بعد الغروب.»

ولمّا كانت (عند) و(بعد) تقعان ظرفي زمان ومكان، وكانت (اللام) التي تأتي بمعناها، لا تأتي إلا للزمان فقط، وكانت تستعمل للتأريخ وللدلالة على الوقت، سُمّيت (لام التوقيت)، والتوقيت لغةً: تحديد الوقت.
ولام التوقيت تستعمل إمّا للدلالة على أول ما اتّصلت به، من ظرف أو مما جعل ظرفاً، نحو: لأول الشهر، ولأول سنوات الدراسة، أي عند أول الشهر، وعند أول سنوات الدراسة. وإمّا للدلالة على ما بعد ما اتّصلت به، نحو قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقوله ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته»؛ أي: بعد دلوك الشمس، وبعد رؤيته.

ومن أثبت ما جاءت فيه اللام للتوقيت وأوضحه ما قاله الشيخ ابن عاشور (٢٠) في تفسير التحرير والتنوير، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢] من الآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢] قال الشيخ ابن عاشور: «اللام في قوله (لأول الحشر) لام التوقيت، وهي التي تدخل على أول الزمان المجعول ظرفاً للعمل، مثل قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]؛ أي من وقت حياتي، وقولهم: كُتِبَ ليوم كذا، وهي - أي اللام - بمعنى (عند). والمعنى أنه أخرجهم عند مبدأ الحشر المُقدَّر لهم» (٢١). وقال

(٢٠) هو العلامة التونسي الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، شيخ جامع الزيتونة، ثم عميد الجامعة الزيتونية. وصاحب التأليف الكثيرة في التفسير والأدب والبلاغة. توفي سنة ١٩٧٣ م.

(٢١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ج ١٣ / ٦٨.

«وفي جعل هذا الإخراج وقتاً لأول الحشر إيذان بأن حشرهم يتعاقب حتى يكمل إخراج جميع اليهود» «وقيل: وصف الحشر بالأول لأنه أول جلاء أصاب بني النضير لأنهم كانوا في بلاد العرب، أي لم يكونوا من اليهود الذين أجلوا أيام بختنصر وأيام الروم، فكان أول جلاء أصاب اليهود جلاء بني النضير»^(٢٢).

وقال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

«اللام في قوله «لحياتي» تحتمل معنى التوقيت، أي قدّمت عند أزمان حياتي، فيكون المراد الحياة الأولى التي قبل الموت، وتحتمل أن تكون اللام للعلّة، أي قدّمت الأعمال الصالحة لأجل أن أحيأ في هذه الدار»^(٢٣).

وقد سبق للزمخشري أن قال «يا ليتني قدّمت لحياتي هذه، وهي حياة الآخرة، أو وقت حياتي في الدنيا، كقولك: جئت لعشرٍ خلون من رجب»^(٢٤).

وقال صاحب الجدول في إعراب القرآن، في الحاشية، تعليقاً على قوله تعالى: ﴿لَأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾: اللام تسمى لام التوقيت، أي عند أول الحشر»^(٢٥).

ومن الجدير بالذكر أن الكتب القرآنية؛ أي كتب التفسير، وإعراب القرآن، كانت أحفل بلام التوقيت من الكتب التي اختصت بالحروف ومعانيها! فعلى حين لم تذكر كتب حروف المعاني أو معاني الحروف من معاني (اللام) الجازة إلا أنها تأتي بمعنى (في) أو (عند) أو (قبل) أو (بعد) كما رأينا، دون تسميتها أو تخصيصها بالظرفية الزمانية دون المكاتبة، نجد

(٢٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٣/٦٩.

(٢٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٥/٣٣٩.

(٢٤) الزمخشري، تفسير الكشاف ٤/٧٤٠.

(٢٥) صافي، الجدول في إعراب القرآن ١٢/٣١٠.

كتب التفسير تسميها بالتوقيئية، وتحدّد معناها. وقد كان من المفسّرين من اكتفى بالإشارة إلى هذه اللام وتسميتها، كما فعل أبو حيان في «البحر المحيط»^(٢٦)، والسّمين الحلبي في «الدرّ المصون في علم الكتاب المكنون»^(٢٧) وغيرهم، وكان منهم من عُني بالوقوف عندها، ومتابعة شواهدها، وبيان المراد بقولهم إنها للاختصاص وإنها للتوقيت؛ كما فعل الألوّسيّ الذي وقف عند قوله تعالى: ﴿لَأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ فقال في تفسيره المعروف بروح المعاني: «وقوله تعالى: ﴿لَأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ متعلق بـ (أخرج)، واللام لام التوقيت، كالتي في قولهم «كتبت لعشر خلون» ومآلها معنى (في) الظرفية، لذا قالوا هنا: أي في أول الحشر، لكنهم لم يقولوا إنها بمعنى (في) إشارة إلى أنها لم تخرج عن أصل معناها للاختصاص؛ لأن ما وقع في وقتٍ اختصّ به دون غيره من الأوقات. وقيل إنها للتعليل، وليس بذاك»^(٢٨).

وما قاله الألوّسي عن عدم خروج لام التوقيت عن معناها الأصلي الذي هو الاختصاص، تلخيص موجز لما قاله الرضيّ الأسترابادي، وهو من أطول العلماء نفساً وأكثرهم تفصيلاً في الحديث عن أساليب العرب في التأريخ، وعن اعتماد اللام في الدلالة على التوقيت.

قال الرضيّ الأسترابادي في شرحه لكافية ابن الحاجب:

«اعلم أن الليل في تاريخ العرب مُقدّم على اليوم؛ لأن السنين عندهم مبنية على الشهور القمرية، وذلك لأن أكثرهم من أهل البراري الذين يتعسّر

(٢٦) أبو حيان، البحر المحيط ١٠/١٣٧.

(٢٧) السّمين الحلبي، الدرّ المصون: ص ٥٢٣١.

(٢٨) الألوّسي، روح المعاني: ٢٨/٣٩.

عليهم معرفة دخول الشهر إلا بالاستهلال، فإذا أبصروا الهلال عرفوا دخول الشهر، فأول الشهر عندهم الليل؛ لأن الاستهلال يكون في أول الليل، فيقال في أول ليلة من الشهر: «كُتِبَ لأول ليلةٍ منه، أو لغرّته، أو لمَهَلُّه، أو لمُستهلِّه»، وفي اليوم الأول: «لليلةٍ خلّت» واللام هي المفيدة للاختصاص الذي هو أصلها.

والاختصاص هنا على ثلاثة أضرب:

إمّا أن يختصّ الفعل بالزمان لوقوعه فيه، نحو: كتبت لغرّة كذا.

أو يختصّ به لوقوعه بعده، نحو: لليلةٍ خلّت.

أو يختصّ به لوقوعه قبله، نحو: لليلةٍ بقيت.

وذلك بحسب القرينة؛ فمع الإطلاق يكون الاختصاص بوقوعه فيه.

ومع قرينة نحو: خلّت، يكون بوقوعه بعده.

ومع قرينة نحو: بقيت، يكون بوقوعه قبله.

وتقول في الليلة الثانية: كتبت لليلة الثانية من كذا... وعلى هذا القياس

إلى آخر الشهر.

وإن وقع الفعل في الليل، ولم يقصد إلى ذكر وقوعه فيه، جاز أن يكتب

فيه ما يكتبه في الأيام؛ وذلك أنك تقول في ثاني الأيام: لليلتين خلتا. وفي

ثالثها لثلاث ليالٍ خلّون، وكذا إلى عشر ليالٍ خلّون. ويجوز: لثلاث ليالٍ

خلّت، إلى عشر ليالٍ خلّت، والأول أولى؛ ليرجع النون الذي هو ضمير

الجمع إلى الجمع. وفي الحادي عشر: لإحدى عشرة ليلةً خلّت، إلى أن

تكتب في الرابع عشر: لأربع عشرة ليلةً خلّت، ويجوز: خلّون، حملاً على

المعنى، والأول أولى مراعاةً للفظ.

وتكتبُ في الخامسَ عَشَرَ: للتَّصِف من كذا، وهو الأولى من قولك: لخمس عشرة ليلة خلت، ومن قولك: لخمس عشرة ليلة بقيت أو بقين، ومع جوازهما أيضاً، وذلك لأن الأول أخصر منهما.

وفي السادسَ عَشَرَ: لأربعَ عَشْرَةَ ليلة بقيت أو بقين. وبعضهم يقول من الخامس عشر إلى الأخيرة: إن بقيت، لتجويز نقصان الشهر، إلى أن يكتب في العشرين: لعشر ليالٍ بقين، وهو أولى من بقيت كما ذكرنا، مع جوازه أيضاً، إلى أن يكتب في الثامن والعشرين: ليلتين بقيتا. وفي التاسع والعشرين: لليلةٍ بقيت، وفي الليلة الأخيرة: لآخر ليلة منه، أو: سلخه، أو: انسلاخه.

وفي اليوم الأخير: لآخر يومٍ من كذا، أو سلخه، أو: انسلاخه»^(٢٩). ويعود الأستراباذي إلى تأكيد بقاء اللام في كل ذلك للدلالة على الاختصاص فيقول: «وقيل تجيء - أي اللام - بمعنى (في) وبمعنى (بعد) وبمعنى (قبل) في قوله تعالى: ﴿جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ [آل عمران: ٩]؛ أي: في يوم وكتبته لثلاث خلون، أي: بعد ثلاث، ولثلاثٍ بقين، أي: قبل ثلاث. والأولى بقاء الثلاثة على الاختصاص»^(٣٠).

ونقول إنه لما كان الاختصاص إذا أطلق عامًّا يصح أن يأتي في كثير من المواضع ولكثير من الأشياء، وذلك كقولنا: البساط للمسجد، والمفتاح للباب، والسرج للحصان، والجنّة للمتقين، فهذه اللام في كل هذه الأمثلة ونحوها تفيد الاختصاص، بل إن من النحويين من يضم الاستحقاق إلى الاختصاص، ولا يرى داعياً إلى التفريق بينهما في الدلالة، فإن تسمية اللام

(٢٩) الأستراباذي، شرح الكافية ٢: ١٥٧ - ١٥٨.

(٣٠) الأستراباذي، شرح الكافية ٢: ٣٢٩.

المختصة بالوقت بلام التوقيت أكثر دقة وأوضح دلالة، وهي اللام التي تأتي بمعنى (في، وعند، وقبل، وبعد) الدالة على الظرفية الزمائية. ونرى أنه كلما كان الاسم أدلّ على وظيفة المسمى كان أدقّ وأوضح، وقد رأينا أن من عدّد ل (اللام) تيفاً وثلاثين معنىً، استطاع أن يعيدها كلّها إلى عَشْرَةِ معانٍ! ثم قال إنه يمكن أن تجمع اللامات كلها في معنيين لا ثالث لهما، وهما: الأصلية والزائدة، وذلك هو قول الزجاجي صاحب كتاب (اللّامات) (٣١).

إن لام التوقيت، لام مختصة بالدلالة على الوقت؛ تكون فيه، وتكون قبله، وتكون بعده، وهي لام جازّة تدخل على ظرف زماني أو ما ناب عنه أو حمل معناه نحو كلمة (أول) في قولنا: لأوّل السنة.

وقد جاءت في القرآن في ﴿لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]. وجاءت محتملة لها في آيات أخرى، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

وقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقوله: ﴿إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

وقوله: ﴿لَا يُجْلِبُهَا لُوقِنَهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وغيرها.

كما جاءت لام التوقيت، كما يدلّ عليه اسمها، للدلالة على التأريخ في نهايات الكتب والمخطوطات من التراث.

* * *

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أدب الكاتب لابن قتيبة. تح: د. محمد الدالي. مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٢=١٩٨٢م.
- الأزهية في علم الحروف، للهروي. تح: عبد المعين الملوحي. دمشق ١٣٩١=١٩٧١م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور. طبعة المجمع الثقافي - أبو ظبي.
- تفسير الكشاف للزمخشري. دار الكتب العلمية - بيروت ط ٢ سنة ٢٠٠٢م.
- ثلاثة كتب في الحروف، للخليل بن أحمد، وابن السكيت، والرازي. تح: د. رمضان عبد التواب. مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢=١٩٨٢م.
- الجدول في إعراب القرآن. محمود صافي. دار الرشيد - دمشق. ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- الجنى الداني في حروف المعاني للمراذي. تح: د. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل. حلب ١٩٧٣م.
- الحروف للمزني. تح: د. محمود حسني محمود، ود. محمد حسن عواد. دار الفرقان عمان ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني - للمالقي. تح: أحمد حسن خرّاط. مجمع اللغة العربية. دمشق ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.

- الفهرست لابن النديم. ط مصر سنة ١٣٤٨هـ.
- كتاب حروف المعاني للزجاجي. تح: د. علي توفيق الحمد. مؤسسة الرسالة، ودار الأمل. عمّان ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
- كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب بشرح الرضي الأستراباذي - دار الكتب العلمية - بيروت.
- اللّامات لابن فارس. تح: د. شاكر الفحام - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. م ٤٨ ج ٤ ص ٧٥٧.
- اللّامات للزجاجي. تح: د. مازن المبارك. ط ٢ دار الفكر. دمشق ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام. تح: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني. دار الفكر. دمشق ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

* * *